

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ ﴿١١﴾
وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۖ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ
يَحُورَ ۖ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۖ ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق: 10 - 15]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا فَصَّلَتْ الْآيَاتُ حَالَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِذِكْرِ حَالِ أَهْلِ السَّعَادَةِ
وَالْيَمْنِ، نَاسَبَ ذَلِكَ ذِكْرَ حَالِ الْفَرِيقِ الثَّانِي مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ
وَالشُّؤْمِ تَكْمِيلًا لِلتَّقْسِيمِ.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿ثُبُورًا﴾: (ثبر) أصلٌ يرجعُ إلى الهلاك والفساد؛ ورجلٌ
مَثْبُورٌ: هالك. وفي كتاب الله تعالى: ﴿دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۖ ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان: 13]،
وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مَثْبُورًا ۖ ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: 102]،
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رحمته الله: (يعني ناقص العقل)، وَنُقِصَانُ الْعَقْلِ أَعْظَمُ
هَلَاكِ⁽¹⁾. وَالْمَعْنَى فِي الْآيَةِ أَنَّ مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ مِنْ غَيْرِ يَمِينِهِ عَلمَ أَنَّهُ
مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُ: "وا ثبوراه!". وَقَدْ يَكُونُ الثُّبُورُ مُشْتَقًّا مِنَ الْمُتَابَرَةِ
عَلَى شَيْءٍ، وَهِيَ الْمُوَاطَّأَةُ عَلَيْهِ، فَسُمِّيَ هَلَاكُ الْآخِرَةِ ثُبُورًا؛ لِأَنَّهُ لَا زَمَّ
لَا يَزُولُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۖ ﴿١٥﴾﴾ [الفرقان: 65]⁽²⁾.

(2) ﴿وَيَصْلَىٰ﴾: مضارع (صلى)، وأصله النَّارُ وما أَشْبَهَهَا مِنْ
يُقَالُ: صَلَّيتُ الْعُودَ بِالنَّارِ. وَاصْطَلَيْتُ بِالنَّارِ. وَالصَّلَاءُ: مَا يُصْطَلَى
بِهِ وَمَا يُذَكَّى بِهِ النَّارُ وَيُوقَدُ. وَصَلَّيْتُ اللَّحْمَ، أَي: شَوَيْتُهُ، وَأَصْلَاهُ
النَّارَ وَصَلَاهُ صَلًّا أَدْخَلَهُ إِيَّاهَا وَأَثَوَاهُ فِيهَا، وَالْمَعْنَى: نُدْخِلُهُ فِيهَا
فَيُلَاقِي حَرَّهَا وَشِدَّتَهَا⁽³⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِب، مفردات في غريب القرآن: (ثبر).

(2) الفخر الزَّازِي، مفاتيح الغيب: 99/31.

(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِب، المفردات، والسَّمين، عمدة الحَفَاط، وابن منظور، لسان العرب، والزَّيْبِدِي، تاج العروس: (صلى - صلا - صلى).

تكميل التقسيم
بذكر أهل
الشَّمال بعد
ذكر أهل اليمين

(3) ﴿ظَنَّنَ﴾: تدلّ مادّة (ظنن) على معنيين متناقضين: يقينٌ وشكٌّ⁽¹⁾. وهو لما يحصل عن أمانة، ومتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدًّا لم يتجاوز حدَّ التَّوَهُّم. والظَّنُّ في كثيرٍ من الأمور مذمومٌ⁽²⁾، وجمعه: ظُنُون، وأظانين. والظُّنَّة: التَّهْمَة. ويقال: رجلٌ ظَنُونٌ: مُتَّهَمٌ في عقله، أو خَبَرِه؛ والظَّنُّ أيضًا إدراكُ الشَّيْءِ مع ترجيحه⁽³⁾. وهو بهذا المعنى يُنافي اليقين، من حيث كونه ترجيحًا لأحد طرفي الحكم على آخر من غير قطع، فيكون بمعنى الحُسابان، وهو معنى اللَّفْظ في الآية⁽⁴⁾.

(4) ﴿يُحْجَرُ﴾: من معاني هذه المادّة الرُّجوعُ⁽⁵⁾، وأن يدورَ الشَّيْءُ دَوْرًا، والعَرَبُ تقول: "الباطل في حَوْر"، أي: رجوعٍ ونقصٍ، وكُلُّ نقصٍ ورجوعٍ حَوْرٌ. والحَوْر: مصدرٌ حار حَوْرًا إذا رجع⁽⁶⁾. والحَوْر أيضًا التَّرَدُّدُ إمَّا بالذَّات، وإمَّا بالفكر، وجاء في الحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ»⁽⁷⁾. أي: مِنَ التَّرَدُّدِ فِي الْأَمْرِ بَعْدَ الْمُضِيِّ فِيهِ، أَوْ مِنَ نُقْصَانٍ وَتَرَدُّدٍ فِي الْحَالِ بَعْدَ الزِّيَادَةِ فِيهَا، أَوْ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ. ويُقال: حَارَ بَعْدَ مَا كَارَ⁽⁸⁾. ومعنى الحور في الآية الرُّجوعُ⁽⁹⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

أَخْبَرَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ أُعْطِيَ صَحِيفَةً أَعْمَالِهِ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ،

حَالُ أَهْلِ
الشَّقَاوَةِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ خِيبَةٌ
وَنَدَامَةٌ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظَنَّنَ).

(2) التَّزَاغِب، للفردات: (ظَنَّنَ).

(3) ابن منظور، لسان العرب: (ظَنَّنَ).

(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 242، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 31/ 100.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حور).

(6) ابن منظور، لسان العرب: (حور).

(7) أخرجه مسلم: (1343).

(8) التَّزَاغِب، للفردات: (حور).

(9) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 242، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 31/ 100.

وهو الكافر بالله تعالى، فسوف يدعو بالهلاك والثبور، ويدخل النار مُقاسياً حرَّها، فقد كان في أهله في الدنيا مسروراً مغروراً، لا يفكر في العواقب، وظنَّ أن لن يرجع إلى خالقه حيًّا للحساب، أو حسب أن لن يرجع إلى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السرور والتَّعَمُّ. لكنَّ الله تعالى سيُعِيدُه كما بدأه ويجازيه على أعماله، إنَّ ربَّه كان به بصيرًا عليمًا بحاله من يوم خَلَقَه إلى أنْ بَعَثَه⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلاغة وصل الآية بما قبلها بالواو:

عُطِفَ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾ على ما قبله بحرف الواو الدالَّ على الجمع والاقتران، فلما ذَكَرَ النَّظْمُ الكريم أهل السَّعادة مِنَ المؤمنين الذين يُؤْتُونَ كتابهم باليمين، عَطَفَ عليهم ذَكَرَ أهل الشَّقَاوَةِ مِنَ الكافرين الذين يُؤْتُونَ كتابهم وراء الظَّهر. وهذا من كمال الاتِّصال الذي يظهر به حالُ الفريقين ويَونُ جزاء كلٍّ منهما بين النِّعيم المقيم، والعذاب الأليم.

دلالة تكرار حرف التَّفْصِيل (أما):

تكرار حرف التَّفْصِيل (أما) في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾ هو لتفصيل الإجمال الذي في قوله: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمُلْقِيهِ﴾، فجمیع النَّاس راجعون إلى الله سبحانه، وكما أُوتِيَ المؤمنُ كتابَه باليمين، أُوتِيَ الكافرُ كتابَه بالشَّمال، وبين مُنتَهاهُما مراتبٌ، وإنَّما جاءت هذه الآية على اعتبار تقسيم النَّاس يومئذ بين أتقياء ومشرِّكين⁽²⁾. وأفاد هذا الحرفُ أيضًا الحطَّ من قدر أصحاب الشَّمال مِنَ الكافرين، بلحاظ دلالته على توكيد الكلام وتقويته⁽³⁾.

عُطِفَ حال
الكافرين على
حال المؤمنين
يوم الدين

حُطُّ قَدْرِ
أَصْحَابِ
الشَّمال

(1) نخبة من العلماء، التفسير للبسر، ص: 589.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 222 / 30.

(3) بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح: 130 / 1.

وجه التعبير بالموصل الاسمي ﴿مَنْ﴾:

أوثر استعمال الموصول ﴿مَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ والدال على العاقل المكلف؛ لكونه المحاسب على أعماله والمجازى عليها. والنكتة في إثارة الاسم الموصول دون الاسم الظاهر أنه يسمح بوصفه بجملة الصلة، وقد أفاد النظم بهذه الصلة وصف أهل الكفر بإيتاء الكتاب وراء الظهر، إشارة إلى كونهم من أهل الشقاوة والخسران.

من صور قبح
النظر إيتاء
الكتاب وراء
الظهر

سر إيتاء لفظ الإيتاء دون الإعطاء:

أوثر التعبير بفعل الإيتاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ دون فعل الإعطاء، لكونه أقوى من الإعطاء، فالإيتاء لا مطاوع لفعله، فتقول: آتاني شيئاً فأخذته، بخلاف الإعطاء فإن له مطاوعاً، فتقول: أعطاني شيئاً فعطوته، والمتقرر أن ما له مطاوع من الأفعال أضعف في إثبات مفعوله مما لا مطاوع له. كما أن الإيتاء يستعمل للشيء العظيم الشأن، ولهذا ورد في إيتاء القرآن الكريم، والتوراة، والمملك، والرحمة، بخلاف الإعطاء فلم يستعمل في ذلك⁽¹⁾.

إيتاء الكتاب
للكافر وإن أبى
هو ذلك

ويجوز أن يدل لفظ الإيتاء هنا على التيسير والتسهيل، فهو بغاية السهولة وإن أبى الكافر ذلك⁽²⁾؛ وفاق اعتراض الزبيدي التوجيه السابق؛ لأن القاعدة التي ذكرت في المطاوعة لا يكاد ينسحب حكمها على كل الأفعال، بل الذي يظهر خلافه، فإن الإعطاء أقوى من الإيتاء، ولذا خص في دفع الصدقات الإيتاء؛ ليكون ذلك بسهولة من غير تطلع إلى ما يدفعه، وتأمل سائر ما ورد في القرآن يؤكد هذا المعنى، ومن ذلك لفظ (الكوثر):

(1) محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 27 - 29.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 343 / 21.

لَمَّا كَانَ عَظِيمًا شَأْنُهُ غَيْرَ دَاخِلٍ فِي حِيْطَةِ قَدْرَةٍ بَشَرِيَّةٍ اسْتَعْمَلَ
الإِعْطَاءَ فِيهِ (1).

والبناء للمفعول دليلٌ يُسِرُّ الإِتْيَانِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَضْلًا عَنْ
الإِهْمَالِ لَهُ وَالْحِطِّ مِنْ قَدْرِهِ. ثُمَّ إِنَّ الْإِيْتَاءَ بِالْيَمِينِ كَمَا كَانَ
تَقْضًى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِيْتَاؤُهُ لِلْكَافِرِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَاجِبٌ جَزَاءٌ
وَفَاقًا لِانْكَارِهِ وَجُودِهِ.

دلالة صوغ ﴿أَوْتِي﴾ ماضياً مبنياً للمفعول:

يَوْمُ الْقِيَامَةِ آتٍ
لَا مُحَالَةَ

عُبِّرَ بِالْفِعْلِ ﴿أَوْتِي﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ وَرَاءَ
ظَهْرِهِ﴾ مَاضِيًّا وَلَيْسَ مُسْتَقْبَلًا مَعَ أَنَّ السِّيَاقَ هُوَ فِي ذِكْرِ الْحِسَابِ
الْمُسْتَقْبَلِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّحَقُّقِ، فَهُوَ آتٍ لَا مُحَالَةَ، وَهَذَا
نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّى أَمُرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرِكُونَ﴾ (النحل: 1) (2).

اللَّهُ تَعَالَى هُوَ
الْمُتَفَرِّدُ بِمُحَاسَبَةِ
عِبَادِهِ

وَبُنِيَ الْفِعْلُ ﴿أَوْتِي﴾ لِلْمَفْعُولِ، وَلَمْ يُصَرِّحْ بِالْفَاعِلِ لِلإِيجَازِ،
لَوْضُوحِهِ مِنَ السِّيَاقِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ وَحْدَهُ مَنْ يَحَاسِبُ
عِبَادَهُ وَيُجَازِيهِمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّرْكِيزِ عَلَى الْفِعْلِ فِي
حَدِّ ذَاتِهِ وَهُوَ الْإِيْتَاءُ، دُونَ التَّعَرُّضِ لِلْفَاعِلِ، وَمَعْلُومٌ إِذَا كَانَ الْكَلَامُ
مَنْصَبًا إِلَى غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ جُعِلَ سِيَاقُهُ لَهُ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ، كَأَنَّ
مَا سِوَاهُ مَرْفُوضٌ مُطَّرَحٌ (3).

سِرُّ إِيْثَارِ لَفْظِ (الكتاب) دُونَ غَيْرِهِ:

أَعْمَالُ بَنِي
آدَمَ مَكْتُوبَةٌ
مَحْفُوظَةٌ
مَجْمُوعَةٌ لَا
يَنْقُصُ مِنْهَا
شَيْءٌ

أَوْثَرَ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ ﴿كِتَابَهُ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْتِي
كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ دُونَ غَيْرِهِ كَالصَّحِيفَةِ مَثَلًا؛ لِئُكْتَبَ لَحْ أَصْلُ
الِاشْتِقَاقِ، وَهُوَ الْكِتَابَةُ؛ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مَلَكِينَ عَنْ يَمِينِهِ

(1) الزَّيْدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (أَتَى).

(2) الْهَرَبِيُّ، حَدَائِقُ الرُّوحِ وَالزَّيْحَانِ: 260 / 31.

(3) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 8 / 4، وَابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 254 / 23.

وشماله يكتُبَان كُلَّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ مِنْ أَعْمَالِهِ، وَالْحِكْمَةُ فِي الْكِتَابَةِ - مع أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ - أَنَّ الْمَكْلَفَ إِذَا عَلِمَ أَنَّ أَعْمَالَهُ تُكْتَبُ وتُعْرَضُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ كَانَ أَزْجَرَ عَنِ الْمَعَاصِي، وَأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَثِقَ بِلُطْفِ سَيِّدِهِ، وَاعْتَمَدَ عَلَى عَفْوِهِ وَسَتَرِهِ لَمْ يَحْتَشِمِ احْتِشَامَهُ مِنْ خَدَمَةِ الْمُطَّلَعِينَ عَلَيْهِ⁽¹⁾. ثُمَّ إِنَّ الْكِتَابَ هُنَا يُمَثِّلُ صَحِيفَةَ أَعْمَالِ الْفَرْدِ الَّتِي يُجْمَعُ فِيهَا أَعْمَالُهُ صَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا، وَهَذَا الْمَعْنَى يَتَوَافَقُ مَعَ أَصْلِ مَعْنَى الْكِتَابَةِ وَالْكِتَابِ وَهُوَ الْجَمْعُ.

دلالة (إضافة (الكتاب) إلى الصّмир:

الإضافة فِي لَفْظِ ﴿كِتَبُهُ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ عَلَى مَعْنَى اللَّامِ، وَهِيَ مُفِيدَةٌ لِلِاخْتِصَاصِ، بِمَعْنَى أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يُؤْتَى صَحِيفَةُ أَعْمَالِهِ الْخَاصَّةُ بِهِ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى أَوِ الْيُسْرَى بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ كُلَّ عَبْدٍ يَتَحَمَّلُ تَبْعَةَ أَعْمَالِهِ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْوِبُ عَنْهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ، فَلَا تَزُرُّ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى.

نكتة ذكر عبارة ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ دون (بشماله):

قَالَ رَبُّنَا سَبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ وَقَالَ ﷺ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يُلَيِّتُنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ﴾ [الحاقة: 25]، فَجَمَعَ الْعُلَمَاءُ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ بَوَجهَيْنِ مِنَ الْجَمْعِ:

أَحَدُهُمَا جَمْعُ الصِّفَتَيْنِ فِي كُلِّ شَخْصٍ مِنْهُنَّ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يُؤْتَى بِشِمَالِهِ وَوَرَاءَ ظَهْرِهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا حَاوَلَ أَخْذَهُ بِيَمِينِهِ كَالْمُؤْمِنِينَ يُمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ وَيُؤْتَى مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ بِشِمَالِهِ.

وِثَانِيهَا: أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُعْطَى بِشِمَالِهِ، وَبَعْضُهُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ⁽²⁾.

تَحْمَلُ الْعَبْدَ
تَبْعَاتِ عَمَلِهِ
صُورَةً لِعَظِيمِ
عَدْلِ اللَّهِ
سَبْحَانَهُ

ظُهُورُ جَمَالِ
مَعَانِي الْكِتَابِ
بِالْجَمْعِ بَيْنَ
آيَاتِهِ

(1) إسماعيل حقي، روح البيان: 377 / 10، والهرري، حقائق الزّوج والزّيجان: 260 / 31.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 99 / 31.

نكتة حذف (من):

الوراء هو المكان
الذي يتحصّل
فيه إيتاء الكتاب

لم يأت النظم الجليل بحرف الجرّ (من) الدالّ على ابتداء الغاية المكانية في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾؛ فلم يقل: (من وراء ظهره). وذلك أنّ الوراء هنا ظرف متعلّق بـ ﴿أُوتِيَ﴾ مستعمل في المكان⁽¹⁾. والمراد أنّ مكان إيتاء الكتاب ومحلّ تحصيله هو وراء الظهر المقابل للأمام. فهو المكان الذي يتحصّل فيه الإيتاء ويستقرّ. وليس المراد أنّ مكان ابتداء الإيتاء - الذي تُفقيه (من) - يكون من وراء الظهر. ثمّ إنّّه لو قيل (من وراء ظهره)؛ لكان تعبيراً موهماً؛ لأنّه يحتمل أن يكون مكان الإيتاء من خلف الظهر ولكنّ الإيتاء يحصّل من الأمام، بأن يكون المؤتي في الخلف ويناوله الكتاب أمامه فهذا يصدق عليه أنه آتاه من وراء ظهره، وليس هذا مراداً.

دلالة ذكر (الظهر) دون (الوراء):

قُبِحَ الهيئات في
الآخرة من وجوه
العقوبات

عبر بلفظ (الظهر) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ ولم يقل: (ورائه)، لأنّ المراد بذكر الظهر تأكيد معنى (وراء) كقولهم (من وراء وراء)⁽²⁾. ففي الآخرة تحوّل وجوههم التي فيها العيون إلى ظهورهم وقفاهم. كقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْظِرَ أَرْجُلُهَا فَتَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ النساء: 47⁽³⁾.

والكافر يؤتى كتابه من ورائه؛ لأنّ يديه مغلولتان، أو تُغلّ يده اليمنى إلى عنقه وتُجعل يده الشمال وراء ظهره، أو تُخلع يده اليسرى فتجعل من وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، أي: إنّ يده تدخل من صدره حتّى تخرج من وراء ظهره، فيأخذ كتابه بها؛

(1) الخلوّتي، روح البيان: 378 / 10.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 626 / 1.

(3) الأصفهاني، تفسير الرّاغب: 1263 / 3.

لأنَّه إذا حاول أخذه بيمينه كالمؤمنين يُمنَع من ذلك ويُؤْتى من وراء ظهره بشماله. فالوراء هاهنا بمعنى مجرد الجانب⁽¹⁾.

بلادة الكناية في تعبير «وَرَاءَ ظَهْرِهِ»:

في التعبير «وَرَاءَ ظَهْرِهِ» كناية عن السُّنَّةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي سَنَّهَا فِي حَيَاتِهِ، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَ مَوْتِهِ. تقول العرب: أظهرتُ بفلان أي فعلتُ بعده ما يفعله هو⁽²⁾. ففي يوم القيامة يقال له: خُذْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ أَيِ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي نَبَذْتَهُ فِيهِ فِي حَيَاتِكَ الدُّنْيَا⁽³⁾، فَعَمَلْتَ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ، وَظَنَنْتَ أَنَّ عَمَلَكَ مِنْ وَرَائِهِ مِمَّا يَخْفَى عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَكَانَ حَقِيقًا بِأَنْ تُغَلَّ يَمِينُكَ إِلَى عُنُقِكَ، وَتَكُونَ شِمَالُكَ إِلَى وَرَاءِ ظَهْرِكَ، وَيَوْضَعُ كِتَابُكَ فِيهَا⁽⁴⁾، فَتَظْهَرُ بِهَيْئَةِ الْكَارِهِ الْمَكْرَهُ الْخَزْيَانِ مِنَ الْمَوَاجِهِةِ⁽⁵⁾.

وفيه أيضًا كناية عن هوانِ الْكَافِرِ عَلَى رَبِّهِ بَعْدَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِ⁽⁶⁾، وَتَحْقِيرِهِ وَإِذْلَالِهِ، وَإِظْهَارِ الْغَضَبِ عَلَيْهِ بِحَيْثُ لَا يَنْظُرُ مُنَاوِلُهُ كِتَابَهُ إِلَى وَجْهِهِ⁽⁷⁾. لَأَنَّ مَوْتِي الْكُتُبِ لَا يَحْمَلُونَ مَشَاهِدَةَ وَجُوهِهِمْ لِكَمَالِ بَشَاعَتِهَا، أَوْ لَغَايَةِ بُغْضِهِمْ إِيَّاهُمْ، لِنَبْذِهِمْ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ⁽⁸⁾.

بلادة الاحتباك في آيتي إيتاء الكتاب:

قوله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ»، وقوله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ» مِنْ الْإِحْتِبَاكِ، فِذِكْرُ الْيَمِينِ أَوَّلًا يُدَلُّ

مَنْ سَنَّ سُنَّةً
سُوءٍ سَيِّدَقِي
وَزَرَّهَا، وَقَدْ
يَعَاقَبُ بِمِثْلِهَا

قُبْحُ الْوُجُوهِ مِنَ
آثَارِ الذُّنُوبِ الَّتِي
تَسَبَّبَ الْبُغْضُ

السَّعِيدُ مَحَلٌّ
رَفِيقٌ وَمَوْدَّةٌ،
وَالشَّقِيُّ مَحَلٌّ
نَبِذٍ وَإِهَانَةٍ

(1) البغوي، معالم التنزيل: 8 / 374، والمخشي، الكشف: 4 / 726، وابن عطية، المحرر الوجيز: 5 / 457، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 31 / 99، والنيسابوري، غرائب القرآن ورائب الفرقان: 6 / 470.

(2) الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل: 2 / 1322.

(3) الخلو، روح البيان: 10 / 378.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 343.

(5) رضا، تفسير المنار: 4 / 230.

(6) النيسابوري، غرائب القرآن ورائب الفرقان: 5 / 251.

(7) الألوسي، روح المعاني: 15 / 289.

(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 223.

على الشمال ثانياً، وذكر الراء ثانياً يدلُّ على الأمام أولاً، وسِرُّ ذلك أنَّه ذَكَرَ دليلَ المَوَدَّةِ والرَّفَقِ بالمصافحة ونحوها في السَّعيد، ودليلَ الغدر والاغتيال في الشَّقِيَّ⁽¹⁾.

نُكْتَةُ تَكَرَّارِ لَفْظِ (الْكَتَابِ):

تغايُرُ الكتابين
وتخالفُهما،
بالاشتِمال
والحُكْمِ في المَالِ

يُلاحظ تكريرَ لفظِ ﴿كِتَابُهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾ دونَ الاكتفاءِ بالإضمارِ بَعْدَ ذِكْرِهِ في الآيةِ السَّابِقَةِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ﴾، والنُّكْتَةُ في ذلك تغايُرُ الكتابين، وتخالفُهما بالاشتِمال والحُكْمِ في المَالِ؛ فَشَتَّانِ بَيْنَ كِتَابٍ يُوَصِّلُ صاحِبَهُ إلى الجَنانِ والرَّضوانِ، وكتابٍ يُرْدي صاحِبَهُ في النَّيرانِ وسُخْطِ الرَّحْمَنِ⁽²⁾.

نوع الفاء ودلالاتها في قوله ﴿فَسَوْفَ﴾:

أخَذَ الكتابَ وراءَ
الظَّهرِ، مدعاةً
لِلنَّدَمِ والخَسَرِ

الفاءُ في قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ رابطةٌ لجملةِ جوابِ الشَّرْطِ بجملةِ الشَّرْطِ، وذلك لأنَّ حرفَ (أَمَّا) مِنْ قوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾ متضمَّنٌ معنى الشَّرْطِ؛ ولذا يَقتَرِنُ جوابه بالفاءِ لِلرَّبْطِ بَيْنَ الفعلِ والجزاء، وتبَيُّهاً على حصولِ الثَّانِي بِحصولِ الأوَّلِ.

دلالة استعمال (سوف):

تَحَقُّقُ النَّدَامَةِ،
واستِمرارُ
الحَسْرَةِ

الأصلُ في استعمالِ الحرفِ (سوف) الوارد في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ دلالتُه على حصولِ الفعلِ في المستقبلِ، والأكثرُ أن يُرادَ به المستقبلُ البعيدُ، وهذا هو الشَّائِعُ، ويُقَصِّدُ به في الاستعمالِ البليغِ تَحَقُّقُ حصولِ الفعلِ واستمراره، فهو هنا مفيدٌ لِلتَّحَقُّقِ والاستمرارِ بالنِّسْبَةِ إلى الفعلِ القابلِ للاستمرارِ وهو: ﴿يَدْعُوا ثُبُورًا﴾؛ إذ هو المقصودُ مِنْ هذا الوعيدِ⁽³⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 343.

(2) إسماعيل حقّي، روح البيان: 10 / 378.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 222.

دلالة التعبير بالفعل ﴿يَدْعُوا﴾ مضارعًا:

أوثر في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ استعمال لفظ ﴿يَدْعُوا﴾، والمقصود بالدُّعاء هنا النداء، أي: ينادي الثُّبُورَ بأن يقول: يا ثُبُوري، أو يا ثُبُورا، كما يقال: يا ويلي ويا ويلتنا. والنداء في مثل هذه الكلمات مستعمل في التَّحَسُّر والتَّوَجُّع من معنى الاسم الواقع بعد حرف النداء⁽¹⁾.

في نداء الخائب
تحسّر وتوجّع

وعُبرَ بالفعل ﴿يَدْعُوا﴾ بصيغة المضارع دون غيره من الأزمنة لما يُفيدُه المضارع من الثُّبُوت والدَّوام والاستمرار، وفي ذلك دلالة على استمرار الكُفَّار في تحسّرهم بتكرار مناداة الويل والثُّبُور في جهنّم كما أخبر عنهم الله سبحانه بقوله: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: 13 - 14].

دوام معاناة
الكُفَّار في النَّار

سرّ إظهار لفظ ﴿ثُبُورًا﴾ دون (هلاكا):

عُبرَ في قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ بلفظ ﴿ثُبُورًا﴾، وهو الهلاك، والمعنى أنّه لما أُوتي كتابه من غير يمينه علِمَ أنّه من أهل النَّار فيقول: (وا ثُبُوراه)، وقيل: الثُّبُور مُشْتَقٌّ من المُتَابَرَة على شيء، وهي المواظبة عليه فسُمِّيَ هلاك الآخرة ثُبُورًا؛ لأنّه لازم لا يزول، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾﴾ [الفرقان: 65] وأصل الغرام اللزوم والولوع⁽²⁾. أمّا الهلاك فمصدر دالٌّ على الحدث المجرد من معنى الملازمة. وسُمِّيَ المواظبة على الشيء متابرة؛ لأنّه كأنّه يريد أن يهلك نفسه في طلبه⁽³⁾.

هلاك الآخرة
ثُبُور؛ لأنّه لازم
لا يزول

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 224 / 30.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 99 / 31.

(3) التيسابوي، غرائب القرآن ورجائب الفرقان: 470 / 6.

بلاغة الكناية في قوله: ﴿يَدْعُوا ثُبُورًا﴾:

الدُّعَاءُ بِالثُّبُورِ
صفةُ المَعَذِّبِينَ فِي
النَّارِ

تضمَّنَ قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ فنًّا من فنون البيان من نوع الكناية، فقوله ﴿يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ كناية عن صفة دخول جهنم، ووجه ذلك أن قول من أوتي كتابه وراء ظهره: (يا ثبورا) لازمه أنه من أهل النار وأنه مُخَلَّدٌ فيها، ولا شك أن هذا قول المخذول الكاره لما عُرض عليه⁽¹⁾.

بلاغة المجاز في الآية:

تَمَنَّى الكُفَّارِ
الهلاك في جهنم
ولا يجدونه

حمل بعض العلماء قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ على المجاز، ففسَّروا الدعاء بالتمني؛ إذ الخلود متيقن لهم فالدُّعاء مستحيل في الواقع، فيحمل الدعاء على التمني مجازًا بجامع الطلب، أو أنه استعارة، ويجوز أن يكون مجازًا مرسلاً؛ إذ الطلب يلزم الدعاء، فيراد به مطلق الطلب ثم يُراد به طلب التمني؛ لكونه فردًا من مطلق الطلب أو مجازًا بعلاقة الإطلاق والتقييد⁽²⁾.

وجه العطف بالواو في قوله: ﴿وَيَصْلَى﴾:

دَعَا بِالثُّبُورِ؛ لِأَنَّ
عَاقِبَتَهُ صَلَّى فِي
الجحيم

عُطفَ قوله تعالى: ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ على ما قبله بحرف الواو الدال على الجمع والاقتران، فالكافر الذي يؤتى كتابه وراء ظهره يدخل جهنم ويقاسي حرَّها وعذابها من غير حائل، وهذا يدل على أن دعاءهم بالثبور قبل الصلي، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۝١٤﴾ [الفرقان: 13 - 14]. فيدل على أنه بعده، ولا منافاة في الجمع، فإنهم يدعون أولًا وآخرًا بل دائمًا على أن الواو لمطلق الجمع لا للترتيب⁽³⁾. وتوجيه هذا العطف أنه لما كان الدعاء بالثبور

(1) الهرري، حقائق الروح والزيجان: 262/31.

(2) القونوي، الحاشية على تفسير البياضوي: 167/20.

(3) الهرري، حقائق الروح والزيجان: 262/31.

لا يكون إلا لبلاء كبير، أتبعه ما يمكن أن يكون علة له وهو الصلّي في النار⁽¹⁾.

دلالة التعبير بصيغة المضارع (يصلّي):

صيغ الفعل (يصلّي) في قوله تعالى: ﴿وَيَصَلِّي سَعِيرًا﴾ مضارعاً؛ للدلالة على الاستقبال إذ محل مجازاة الكافر بصلّي النار يوم القيامة، فهو اليوم الموعود لحساب الخلائق، وهو نظير قوله تعالى: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: 15]. وفي المضارع أيضاً دلالة ديمومية هذا الصلّي، واستمراره في جهنّم. ودوام العذاب عقاب أشد، وجزاء أنكى.

سِرُّ إنباط لفظة (يصلّي) دون (يدخل):

أوثر الفعل (يصلّي) في قوله تعالى: ﴿وَيَصَلِّي سَعِيرًا﴾ دون ما يُقاربه ك (يدخل) مثلاً؛ لكونه يختص بدخول النار دون غيرها، وهذا لملاحظة مَلَمَح اشتقاقه من مادة (صلي)، وأصلها النار وما أشبهها من الحمى، يُقال: صَلَّيْتُ الْعُودَ بِالنَّارِ، وَاصْطَلَيْتُ بِالنَّارِ، وَصَلَّيْتُ اللَّحْمَ، أي: شويته، وأصله النار، وصلاه صلياً أدخله إيّاها وأثواه فيها، فبدل على الدخول ومقاساة حرّ جهنّم وشِدَّتْه⁽²⁾.

توجيه القراءات في ﴿وَيَصَلِّي﴾:

تَوَعَّتِ الْقِرَاءَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَيَصَلِّي سَعِيرًا﴾، فَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَالْكَسَائِيُّ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الصَّادِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ ﴿وَيَصَلِّي﴾، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَإِسْكَانِ الصَّادِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ ﴿وَيَصَلِّي﴾⁽³⁾.

وَالْحُجَّةُ لِمَنْ شَدَّدَ اللَّامَ أَنَّهُ أَرَادَ دَوَامَ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، مِنْ

يَوْمُ الْقِيَامَةِ
هُوَ الْيَوْمُ
الْمَوْعُودُ لِحِسَابِ
الْخَلَائِقِ

الْصَّلَاةُ
مَخْصُوصَةٌ
بِدُخُولِ النَّارِ
دُونَ غَيْرِهَا

مِنْ أَهْوَالِ جَهَنَّمَ
شِدَّةُ الْعَذَابِ
وَدَوَامُ الْعِقَابِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 344.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صلي)، وابن منظور، لسان العرب: (صلا).

(3) ابن الجزري، النشر: 2 / 399.

المضاعف (صلاه) إذا أحرَقَه. ودليله قوله: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤﴾
 [الواقعة: 94] لأنَّ وزنَها: (تفعلة)، و(تفعلة) لا تأتي إلا مصدرًا لـ (فعل)
 بتشديد العين كقولك: عزَّيته تعزيةً. والحجَّة لمن خفف اللام أنَّه
 أخذه من (صلي) اللّازم، بمعنى مسَّته النَّار. ودليله قوله تعالى:
 ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ١٦٣﴾ [الصفات: 163]، و﴿يُصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ١٥﴾
 [الانفطار: 15]⁽¹⁾. ولا يخفى ما في التشديد من المبالغة في الصلي
 فعلًا وديمومةً.

بلاغة استعمال مُفردة ﴿سَعِيرًا﴾:

في قوله تعالى ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ أوتر إطلاق لفظ السَّعير على
 النَّار، ومعناه الالتهاب، وهو (فعل) بمعنى (مفعول)، أي: مسعور،
 للدلالة على زيادة الوقود في النَّار، وهو معاملٌ مُعاملة المذكر، لِأنَّه
 من أحوال اللهب، كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا حَبَّتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ٩٧﴾
 [الإسراء: 97]. وقد يُطلق عَلَمًا بالغلبة على جَهَنَّمَ وذلك على حذف
 مضاف، أي: (ذاتُ سعير).

علةٌ فصل جملة ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ عن سابقه:

وَرَدَّتِ الجملة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾
 مفصولةً عَنِ الجملة قبلها ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ لأنَّ بينهما ما يُسمَّى
 في البلاغة بـ (شبه كمال الاتصال) وهو كونُ الجملة الثانية قوَّةً
 الارتباط بالأولى؛ لوقوعها جوابًا عن سؤال يُفهم من الجملة
 الأولى، فتُفصل عنها كما يُفصل الجواب عن السؤال⁽²⁾. وكأنَّ
 سائلًا يسأل: ما سببُ صليِّه بالسَّعير، ونيلِ تلك العقوبة؟ فجملة
 ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ تعليلٌ لجملة ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾؛ إذ علَّل
 سبحانه ما يُلقيه الكافر في الآخرة بأنَّه كان في الدنيا مسرورًا

تعدُّد أوصاف
النَّار بما يناسب
السياق من
الوعيد

تعليلُ صليِّ
السَّعير في
الآخرة بركوب
المعاصي في الدنيا

(1) ابن خالويه، الحجَّة في القراءات السبع، ص: 366، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 224 / 30.

(2) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 180.

بركوب المعاصي والغفلة عن الآخرة⁽¹⁾. أي لما ذَكَرَ هذا العذاب الذي لا يُطاق، أَتَبَعَهُ سَبَبُهُ تَرْهِيبًا مِنْهُ واستعطافًا إِلَى التَّوْبَةِ وتحذيرًا مِنْ السُّرُورِ فِي دَارِ الْحَزَنِ⁽²⁾.

عَرَضُ جُمْلَةِ التَّوَكِيدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾:

جاء الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ مُؤَكِّدًا بحرف التَّوَكِيدِ (إِنَّ)، والنُّكْتَةُ فِي تَأْكِيدِهِ: التَّعْجِيبُ مِنْ حَالِهِمْ كَيْفَ انْقَلَبَتْ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ الَّذِي كَانَ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْمَعْرُوفِ مِنْ أَحْوَالِهِمْ بِمَا حُكِيَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ [الزمل: 11]، وقوله: ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكَيْهِنَ﴾ [الطَّفِّينَ: 31]؛ فَأَلَوْا إِلَى أَلَمِ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ حَتَّى دَعَوْا بِالثَّبُورِ⁽³⁾. وَالتَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ التَّصَدِيقُ بِثُبُوتِ السُّرُورِ وَدَوَامِ الْحُبُورِ فِي الدُّنْيَا⁽⁴⁾.

دَلَالَةُ ذِكْرِ ﴿كَانَ﴾:

وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ الْفِعْلُ النَّاقِصُ ﴿كَانَ﴾، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى بَابِهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى اتِّصَافِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ بِالْمُسْنَدِ فِي الْمَاضِي، بِمَعْنَى أَنَّ الْكَافِرَ كَانَ مَسْرُورًا فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا⁽⁵⁾. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ دَالًّا عَلَى الدَّوَامِ حَتَّى صَارَ الْوَصْفُ كَالْجَبَلَةِ لَهُ وَالطَّبَعِ، فَحَالُ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ بِطَرٍّ بِمَالِهِ وَجَاهِهِ فَارُغٌ عَنِ الْآخِرَةِ⁽⁶⁾.

بِلَاغَةُ اسْتِعْمَالِ حَرْفِ الطَّرْفِيَّةِ:

يَدُلُّ حَرْفُ ﴿فِي﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ عَلَى الطَّرْفِيَّةِ الْمَكَانِيَّةِ، أَيْ (فِيمَا بَيْنَ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ أَوْ مَعَهُمْ)،

التَّعْجِيبُ مِنْ
انْقِلَابِ حَالِ
الْكَافِرِ

اتِّصَافُ الْكَافِرِ
بِالرَّكُونِ إِلَى
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(1) درويش، إعراب القرآن: 6 / 104.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 344.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 224.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 344.

(5) الهرري، حقائق الروح والريحان: 31 / 263.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 344، والقونوي، الحاشية على تفسير البيضاوي: 20 / 168.

كما يقال: (جاءني فلان في جماعة)، أي: معهم. وفيه إيحاء إلى الاستغراق في المذات معهم، منغمساً فيها بينهم.

دلالة التعبير بلفظ الأهل مضافاً إلى الصّميم:

الإضافة في قوله تعالى: ﴿أَهْلِي﴾ على معنى اللّام، وهي مفيدة للاختصاص، بمعنى أنّهم جميعاً كانوا مسرورين لا يفكرون في أمور الآخرة، ويُقدّمون على المعاصي ظناً منهم أنّ لذاتها لا توجب الحسرة، ولا تورث التردّي في النار⁽¹⁾. وقد يُراد بتعبير ﴿فِي أَهْلِي﴾ الكناية عن دار العمل⁽²⁾.

عَرَضُ تَقْدِيمِ ﴿فِي أَهْلِي﴾ عَلَى ﴿مَسْرُورًا﴾:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِي مَسْرُورًا﴾ قُدِّمَ شِبْهُ الْجُمْلَةِ ﴿فِي أَهْلِي﴾ على الخبر ﴿مَسْرُورًا﴾ لِنُكْتَةِ الموازنة بين مصير المؤمن ومصير الكافر، إذ لما ذَكَرَ النُّظْمُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فِي الْمَحْشَرِ مَسْرُورًا بِصَحِيفَةِ أَعْمَالِهِ ذَكَرَ هُنَا أَنَّ الْكَافِرَ يُلَاقِي السَّعِيرَ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا، فَضْلاً عَمَّا فِي تَأْخِيرِ ﴿مَسْرُورًا﴾ مِنْ مِرَاعَاةِ الْفَوَاصِلِ⁽³⁾.

بَلَاغَةُ التَّعْرِيزِ فِي الْآيَةِ:

تُظْهِرُ هَذِهِ الْآيَةُ الْبُؤْسَ الْبَعِيدَ بَيْنَ حَالِ الْمُؤْمِنِ وَحَالِ الْكَافِرِ، فَالْكَافِرُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا أَي مُنْعَمًا مُسْتَرِيحًا مِنَ التَّعَبِ بِأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ وَاحْتِمَالِ مَشَقَّةِ الْفَرَائِضِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْجِهَادِ، مُقَدِّمًا عَلَى الْمَعَاصِي، مُحْفُوفًا بِشَهَوَاتِهِ، آمِنًا مِنَ الْحِسَابِ وَالتَّوَابِ وَالْعِقَابِ، لَا يَخَافُ اللَّهَ وَلَا يَرْجُوهُ، فَأَبْدَلَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ السُّرُورِ الْفَانِي غَمًّا بَاقِيًّا لَا يَنْقُطِعُ، وَكَانَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ مُتَّقِيًّا مِنْ

اشتغال الكفار
بالدنيا عن
الآخرة أوردتهم
للهالك

شتان بين من
يلقى الصّحيفة
مسروراً، ومن
يلقها مثبوراً

لا يُجمع على
العبد في الآخرة
خوفان ولا أمان

(1) الهرري، حقائق الرّوح والزّحان: 263 / 31.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 344 / 21.

(3) القونوي، الحاشية على تفسير البضاوي: 168 / 20.

المعاصي غير آمن من العذاب ولم يكن في دنياه مسروراً في أهله
فجعله الله في الآخرة مسروراً فأبدله الله تعالى بالغمّ الفاني سروراً
دائماً لا ينفد⁽¹⁾.

بلادة الاحتباك في الآية:

الكلام في هذه الآية وسابقتها من الاحتباك؛ فذكر الحساب
اليسير الذي هو الثمرة والمُسبَّب أولاً يدلُّ على حذفِ ضِدِّه ثانياً،
وذكرُ السُّرور في الأهل الذي هو السَّبب في الثاني يدلُّ على حذفِ
ضِدِّه في الأول، وهو المشقَّة الدُّنيويَّة ومحاسبةُ النَّفس، المؤدِّيان إلى
السَّعادة الأبدية⁽²⁾.

حُفَّتِ الْجَنَّةُ
بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ
النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ

علّة فصل قوله: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ﴾:

فُصِّلَت جملة ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَجُورَ﴾ عَنِ الجملة قبلها لأنها
وقعت موقع التعليل لمضمون جملة: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ
ظَهْرِهِ﴾، فالمعنى: يصلى سعيّاً لأنه ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى الحياة
بعد الموت، فهو يُكذِّبُ بالبعث. وحرف (إِنَّ) فِي مِثْلِ هَذَا النَّوعِ مِنْ
الْجُمْلِ مَغْنٍ عَنْ فَاءِ التَّعْلِيلِ، قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ: "حَتَّى إِذَا جِئْتَ إِلَى
(إِنَّ) فَأَسْقَطْتَهَا، رَأَيْتَ الثَّانِي مِنْهُمَا قَدْ نَبَأَ عَنِ الْأَوَّلِ، وَتَجَاوَى
مَعْنَاهُ عَنْ مَعْنَاهُ، وَرَأَيْتَهُ لَا يَتَّصِلُ بِهِ وَلَا يَكُونُ مِنْهُ بِسَبِيلٍ، حَتَّى تَجِيءَ
(بِالْفَاءِ) ...، ثُمَّ لَا تَرَى (الْفَاءَ) تَعِيدُ الْجُمْلَتَيْنِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ
الْأَلْفَةِ، وَلَا تَرُدُّ عَلَيْكَ الَّذِي كُنْتَ تَجِدُ بِهِ (إِنَّ) مِنَ الْمَعْنَى"⁽³⁾.

ضَلَّى الْكَافِرِ
السَّعِيرَ بَظَنِّهِ
عَدَمَ الرَّجُوعِ إِلَى
رَبِّهِ

بلادة التوكيد في قوله: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ﴾:

جاء الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَجُورَ﴾ مُؤَكِّدًا بحرف
التَّوْكِيدِ (إِنَّ)، وَالنُّكْتَةُ فِي تَأْكِيدِهِ التَّعْجِيبُ مِنْ حَالِ الْكَافِرِ الَّذِي

التَّعْجِيبُ مِنَ
ظَنَّ الْكَافِرِ عَدَمَ
الرَّجُوعِ إِلَى رَبِّهِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 100 / 31.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 344 / 21 - 345.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 316، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 224 / 30.

ظَنَّ أَنْ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى رَبِّهِ، وَأَنَّهُ لَنْ يَبْعَثَ الْخَلْقَ لِحَسَابِهِمْ عَلَى مَا قَدَّمُوا، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يُبَدِّلُ سُرُورَهُ حُزْنًا وَغَمًّا لِأَقْلَعِ عَمَّا هُوَ فِيهِ، وَلَتَرَكَ هَذَا السُّرُورَ الْعَاجِلَ السَّرِيعَ الْفَنَاءَ، وَطَلَبَ مِنَ السُّرُورِ مَا يَبْقَى مَا بَقِيَتِ الْجَنَّةُ الَّتِي لَا يَفْنَى نَعِيمُهَا، وَلَا يَزُولُ سُرُورُ أَهْلِهَا⁽¹⁾. وَفِي التَّوَكُّيدِ أَيْضًا تَعْلِيلُ لَثَبَاتِ السُّرُورِ، وَتَنْبِيْهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يُصَدَّقُ أَنَّ أَحَدًا يُنْكَرُ الْبَعْثَ مَعَ مَا لَهُ مِنَ الدَّلَائِلِ الَّتِي تَقُوْتُ الْحَصْرَ⁽²⁾.

نُكْتَةُ اسْتِعْمَالِ فِعْلِ الظَّنِّ مَاضِيًا:

بُطْلَانُ حُسْبَانِ
الْكَفَّارِ بِعَدَمِ
الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ

عُبِّرَ بِفِعْلِ الظَّنِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ الدَّالُّ فِي أَوَّلِ اللَّغَةِ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ: يَقِينٌ وَشَكٌّ⁽³⁾. وَحَمَلَهُ بَعْضُهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْيَقِينِ، أَيْ إِنَّ الْكَفَّارَ أَيقِنُوا بِعَدَمِ الْبَعْثِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: 38]، وَالرَّاجِعُ حَمَلُهُ عَلَى بَابِهِ مِنَ الْحُسْبَانِ، فَالْكَفَّارُ الْمُتَّبِعُونَ لَشَهَوَاتِهِمْ، السَّاعُونَ وَرَاءَ لَذَاتِهِمْ، لَيْسُوا بِظَانِّينَ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونُوا مُسْتَيْقِنِينَ بِأَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ لِيَحْسَبَهُمْ، بَلِ الرَّاجِعُ عِنْدَهُمْ: أَنَّهُمْ لَا يَحْسَبُونَ، وَأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ مُخْلِفٌ وَعْدَهُ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُنْسِيهِمْ ذِكْرَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عِنْدَ كُلِّ جُرْمٍ يُجْرِمُونَهُ⁽⁴⁾.

وَعُبِّرَ بِصِيغَةِ الْمَاضِيِّ ﴿ظَنَّ﴾ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَزْمَنَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْحَالِ السَّابِقَةِ لِلْكَافِرِ الَّذِي يُؤْتَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ، وَهِيَ ظَنُّهُ فِي الدُّنْيَا بِأَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى رَبِّهِ بِالْبَعْثِ، فَالْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِصِيغَةِ الْمَاضِيِّ يَقْتَضِي كَوْنَ الْمَخْبَرِ عَنْهُ مُتَقَدِّمًا عَلَى ذَلِكَ الْإِخْبَارِ⁽⁵⁾.

(1) الهرري، حقائق الرُّوح والزَّيْحَان: 264 / 31.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 344 - 345.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظن).

(4) الهرري، حقائق الرُّوح والزَّيْحَان: 264 / 31.

(5) الفخر الرَّازِي، مفاتيح الغيب: 2 / 283.

نوع ﴿أَنَّ﴾ ودلالاتها:

حرف ﴿أَنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ هي المؤكدة المخففة من الثقلية، السادة مع ما في حيزها مسد مفعولي ﴿ظَنَّ﴾ أو أحدهما على الخلاف المشهور؛ أي: ظن الكافر أن الشأن والحال عدم رجوعه إلى ربه للحساب والجزاء.

دلالة النفي بأداة ﴿لَنْ﴾:

عبر بحرف ﴿لَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ في سياق حكاية جزم الكافر بعدم البعث والحساب، وقطعه بنفيه؛ لأن حرف ﴿لَنْ﴾ موضوع لنفي المستقبل، والنفي به أكد من النفي بـ(لا)⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالفعل ﴿يَحُورَ﴾ مادةً وصيغةً:

لفظ ﴿يَحُورَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ من الحور، وهو الرجوع، والمحار: المرجع والمصير؛ وهو رجوع مخصوص لكونه عوداً إلى خلاف ما كان عليه المرء. وعليه فالمعنى: إنه ظن أن لن يرجع إلى الآخرة أي لن يبعث، وحسب أن لا يرجع إلى الله تعالى، أو ظن أن لن يرجع إلى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السُرور والتنعّم⁽²⁾.

وصيغ الفعل ﴿يَحُورَ﴾ مضارعاً للدلالة على الاستقبال بدلالة زمن الفعل، وقرينة دخول حرف ﴿لَنْ﴾ الموضوع لنفي المستقبل، مع عدم إغفال معنى التجدد والاستمرار في الفعل الدال على دوام الظن بعدم الرجوع مستقبلاً إلى الله تعالى أو إلى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السُرور والتنعّم. وهو من تمام الضلال، وخسران الحال.

فائدة استعمال حرف الجواب ﴿بَلَى﴾:

﴿بَلَى﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلَى إِنْ رَبُّهُ كَانَ بِهٖ بِصِيرًا﴾ حرف

إنكار البعث
شأن الكافر
مهما عظمت
الدلائل

تأكيد النفي في
المستقبل

الظن بعدم
الرجوع قصور
في العقل
والتفكير

نكران المآل
إلى الله تعالى
ضلال

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 342/01.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 242/24، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 31/100.

ظَنَّ الكافر بعدم
البعث باطلًا
وتنعمه بالملذات
زائل

تعليل إبطال
ظَنَّ الكافر بعدم
البعث

جواب، وموقعه الاستئناف، ويُجاب به الكلام المنفي لإبطال نفيه. ومعناه في هذه الآية: (بلى لُيُبْعَثَنَّ، وإنَّ الله تعالى يُبدلُ سروره بغمٍّ لا ينقطع، وتنعمه ببلاءٍ لا ينتهي ولا يزول)⁽¹⁾.

علة فصل قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُ﴾:

فُصِلَتْ جملة: ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ عن الآية قبلها لوقوعها جوابَ قَسَمٍ مُّقَدَّرٍ، والتقدير: (بلى لِيَحْوَرنَّ وَلِيَرْجَعَنَّ إلى رَبِّهِ حَيًّا كما كان قبل مماته)، أو لوقوعها موقع التعليل لما أفادته ﴿بَلَىٰ﴾ من إيجابٍ لما بعد ﴿لَنْ﴾، والجملة مبيّنة للإبطال الذي أفاده حرف ﴿بَلَىٰ﴾ على وجه الإجمال يعني أنَّ ظنَّه باطلٌ لأنَّ ربَّه أنبأه بأنَّه يُبعث⁽²⁾. وحرف ﴿إِنَّ﴾ في مثل هذا النوع من الجمل مغني عن فاء التعليل وفاق ما بيَّنَّا من قبل في تفسير قوله ﴿إِنَّهُ ظَنَّ﴾.

بلاغة التوكيد بـ ﴿إِنَّ﴾:

مَنْ لا يُبصر ما
حاله؛ يتردَّى
مآله

جاء الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ مُؤَكِّدًا بحرف التوكيد ﴿إِنَّ﴾، لردِّ إنكار الكافر البعث الذي أخبر الله به على لسان رسوله ﷺ، والمعنى: (إنَّ ربَّه عليمٌ بمآله). فال المعنى الحاصل من حرف الإبطال ومن حرف التأكيد إلى بيان أنَّ ربَّه بصيرٌ به عليمٌ بحاله، وأمَّا هو فغيرٌ بصيرٌ بحاله كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]⁽³⁾.

براعة ذكر عنوان الرُّبُوبِيَّة:

إنعام الرّبِّ
سبحانه على
عباده يشملهم
جميعًا مؤمنهم
وكافرهم

عُبرَ بلفظِ الرُّبُوبِيَّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ دون سواه من أسماء الله وصفاته لِنُكْتَةِ التَّذْكِيرِ بِإنعامِ الرّبِّ سبحانه على عباده أجمعين مؤمنهم وكافرهم، وتقريع الكافر على كفره

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 31/ 100، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 225.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 243، ودرويش، إعراب القرآن: 10/ 423.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 31/ 100، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 225.

بخالفه ورازقه، وإنكاره قضاءه بالبعث والحساب، فالرَّبُّ سبحانه هو مَنْ أوجد الكافر ورَّباه وأمدَّه بمختلف النِّعم وسخَّرَ له الآياتِ الكونيَّةَ لمنفعته، وفي وصف الرُّبوبيَّة أيضاً الدِّلالة على الشَّفقة بالمربوب، ومحبة الخير له، فهو رَبُّ العباد الذي له الخلقُ والأمر⁽¹⁾.

دلالة ذكر ﴿كَانَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ استعمل الفعل الماضي ﴿كَانَ﴾ الذي يأتي في الأصل للدلالة الدَّوام والاستمرار بمعنى (لم يزل)، فتخصَّصُ كان بمرادفة (لم يزل) كثيراً، أي إنها تأتي دالةً على الدَّوام⁽²⁾، وفائدتها هنا الإشعار بأنَّ اتَّصافه تعالى بهذا الوصف دائمٌ ثابتٌ في الأزل، وهذا المناسب لصفات الله سبحانه فهي دائمةٌ مُطلقةٌ.

نوع الباء ودلالاتها في القيد ﴿بِهِ﴾:

حرف الباء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ معناه المُلابسة أو الإلصاق، وقد تعدَّى الوصف ﴿بَصِيرًا﴾ بالباء؛ لأنَّه من (بَصُر) القاصر بضمِّ الصاد، بمعنى: رآه رؤيةً مُحَقَّقةً. وقد علَّق وصف (بصير) بضمير الإنسان الذي ظَنَّ أنَّ لن يحور، والمراد: العلم بأحواله لا بذاته⁽³⁾.

غرض تقديم القيد ﴿بِهِ﴾ على الخبر ﴿بَصِيرًا﴾:

قدَّم شبه الجملة ﴿بِهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ على الخبر ﴿بَصِيرًا﴾ لنُكَّته الاهتمام بأعمال الكافر الموجبة للجزاء، بحيث لا يخفى عليه منها خافيةٌ، فلا بدَّ من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتماً؛ إذ لا يجوز في حكمته أن يهمله فلا يُعاقبه على

صفات الله
سبحانه دائماً
مطلقة

علم الربِّ
سبحانه ملابس
لأحوال عباده

لا تخفى على
الله تعالى من
أعمال العباد
خافية

(1) البقاعي، نظم الدرر: 425/13، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 202/04.

(2) السيوطي، همع الهوامع: 120/1.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 100/31، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 226/30.

سوء أعماله، وهذا زجرٌ لجميع المكلفين عن المعاصي كُلِّها⁽¹⁾؛ مع ما في هذا التقديم من مراعاة الفواصل.

نُكْتَةُ الْمُبَالِغَةِ فِي الْوَصْفِ «بَصِيرًا»:

جاء الوصف «بَصِيرًا» في قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا» على صيغة (فعل)، وهي مِنْ أَوْزَانِ الْمُبَالِغَةِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَمَالِ الصِّفَةِ فِي الْمَوْصُوفِ بِهَا سُبْحَانَهُ، وَعَظِيمِ أَثَرِهَا عَلَى عِبَادِهِ، وَقَدْ خَتَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْآيَةَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمُبَصَّرَاتِ؛ لِأَنَّ أَعْمَالَ الْكَافِرِ مَشَاهِدَةٌ مَرْتِيَّةٌ، فَنَاسِبٌ ذَلِكَ الْمَجِيءُ بِالصِّفَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمُبَصَّرَاتِ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ بَصِيرٌ بِأَعْمَالِ الْكَافِرِ؛ مِنْ مَعَاصِيهِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا إِلَيْهِ يَصِيرُ أَمْرُهُ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ الْعَالِمُ وَحْدَهُ بِذَلِكَ كُلِّهِ⁽²⁾.

بَلَاغَةُ الْقَابِلَةِ بَيْنَ مَصِيرِ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ:

تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فَنَاءً مِنْ فَنَوْنِ الْبَدِيعِ، وَهُوَ الْمُقَابِلَةُ؛ إِذْ قَابَلَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بَيْنَ أَحْوَالِ أَهْلِ السَّعَادَةِ الَّذِينَ يُؤْتُونَ كِتَابَهُمْ بِالْيَمِينِ وَبَيْنَ أَحْوَالِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ الَّذِينَ يُؤْتُونَ كِتَابَهُمْ بِالشَّمَالِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَبَيْنَ مَصِيرِ الْفَرِيقَيْنِ تَضَادٌّ يَثِيرُ الذَّهْنَ وَيَجْذِبُ الْإِنْتِبَاهَ، وَيَزِيدُ الْكَلَامَ حُسْنًا وَطَرَفَةً، كَمَا يَقْوِي الْمَعْنَى؛ إِذْ بَضِّدَهَا تَتَمَايُزُ الْأَشْيَاءُ⁽³⁾.

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

الدُّعَاءُ وَالنَّدَاءُ:

يَتَجَلَّى الْفَرْقُ بَيْنَ لَفْظَيْ: (الدُّعَاءُ)، وَ(النَّدَاءُ) فِي خُصُوصِ (النَّدَاءِ) بَرَفِ الصَّوْتِ بِمَا لَهُ مَعْنَى، وَالْعَرَبِيُّ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: (نَادِ مَعِيَ لِيَكُونَ ذَلِكَ أُنْدَى لَصَوْتِنَا)، أَي: أَبْعِدْ لَهُ، فَالنَّدَاءُ يَكُونُ بَرَفِ الصَّوْتِ. وَلِذَلِكَ ذَكَرَ الْقُرْآنُ مَعَ النَّدَاءِ وَصْفَ «خَفِيًّا» [مريم: 3]

الله تعالى وحده
العالم بأحوال
من جحده

بالضدّ تتمايز
الأشياء

مشهد القضاء
بالعذاب يُفقد
المرء تماسكه

(1) الهرري، حقائق الرّوح والزّحان: 31 / 264.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24 / 243، وأبو حيّان، البحر المحيط: 2 / 541.

(3) الهرري، حقائق الرّوح والزّحان: 23 / 365.

تقييداً له، قال الله ﷻ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءً خَفِيًّا ۝﴾ [مريم: 3]. أمّا (الدُّعاء) فلا يُشترط فيه رفعُ الصوت، بل يكون برفع الصوت وخَفْضِهِ، يقال: دَعَوْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ ودَعَوْتُ اللَّهَ فِي نَفْسِي، ولا يقال: ناديتُهُ في نفسي، وأصل الدُّعاء الطَّلَبُ؛ والدُّعْوَى مطالبةُ الرَّجُلِ بمالٍ يدعو إلى أن يُعْطَاهُ⁽¹⁾. ومن هنا أَوْثَرَ الفعلُ (يدعو) وكأنَّ الكافر هو من يطلب ثبوراً، وقد حُمِلَ الدُّعاء عَلَى التَّمَنِّي مَجَازاً بجامع الطَّلَب بحسب ما مرَّ بيانه، ثمَّ إنَّ مشهدَ إيتاء الكتاب وراء الظَّهر وبالشَّمَال مشهدُ انهيارٍ تَرْتَعِدُ فِيهِ الفرائصُ، فلا تكاد تقوى على النِّداء بصوتٍ مرتفعٍ.

الحَوْرُ والرَّجُوعُ:

يتجلَّى الفرق بين لفظي (الحَوْر) و(الرَّجُوع) في علاقة العموم والخصوص بينهما، فالرَّجُوع عامٌّ في مطلق العَوْد، ويختصُّ (الحَوْر) بالرَّجُوع إلى خلاف ما كان عليه المرءُ⁽²⁾، كما في الحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ»⁽³⁾، يعني بذلك: مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ، أَوْ مِنَ التَّرَدُّدِ فِي الْأَمْرِ بَعْدَ الْمَضِيِّ فِيهِ، أَوْ مِنَ نُقْصَانٍ وَتَرَدُّدٍ فِي الْحَالِ بَعْدَ الزِّيَادَةِ فِيهَا⁽⁴⁾.

واختير تعبير ﴿لَنْ يَحْوَرَ﴾؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ حَسِبَ أَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْآخِرَةِ أَوْ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ السَّرُورِ وَالتَّنَعُّمِ.

الحَوْرُ الرَّجُوعُ
إِلَى خِلَافِ مَا
كَانَ عَلَيْهِ الْمَرْءُ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 38.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 242، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 31/ 100.

(3) أخرجه مسلم: (1343).

(4) الزَّأْب، للفردات: (حور).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-643-45-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"